محي الدين بن عربي

الرسائل الإلهية

تحقيق: قاسم محمد عباس





رسالة المرائي المسماة بالمبشرات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين. أما بعد؛

فإن الله تعالى جعل الرؤيا وحيه إلى أوليائه والمسلمين من عباده، وجعلها جزءاً من أجزاء النبوة، كما ذكر الترمذي في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه[٧٥] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي و لا نبي، قال ففزع الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكن المبشرات، قالوا: يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال: رؤيا المسلم يراها الرجل أو ترى له، وهي جزء من أجزاء النبوة)[٧٦]، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وذكره مسلم في مسنده الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا، فكان لا يرى رؤيا إلاّ خرجت مثل فلق الصبح. وقال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[٧٧]. فلمّا خرّ أخوته وأبواه بين يديه سُجداً، قال عليه السلام: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[٧٨]، وقال تعالى إخباراً



عن إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ﴾[٧٦]. فلمّا أراد عليه السلام أن يذبح ابنه كما رآه في المنام، ناداه الله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾[٨٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[٨١]، القصة، قيل: إن هذا الوحي كانت رؤيا رأتها في المنام. وإني عزمت أن أذكر في هذا الجزء ما رأيته في المنام مما تعود منه منفعة على الغير، وتُعين على أسباب الخير، وما يختص بذاتي فلا أحتاج إلى ذكره.

واعلم أن الرؤيا على ثلاثة أقسام: رؤيا من الله، وهي المبشرات.

ورؤيا من النفس، وهي التي يحدث بها الرجل نفسه في اليقظة.

ورؤيا من الشيطان، وهي المفزعة، يحزنك بها الشيطان.

فمن رأى رؤيا تحزنه، فليستعذ بالله من شرّ ما رأى، وليتفل عن يساره ثلاثاً، فإنها لا تضره، ولا يتحدث بها، هكذا رويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروينا عنه عليه السلام أنه قال في الرؤيا: (إنها معلقة على رجل طائر فإذا قيلت سقطت لما قيلت له)[٨٢].

واعلم أن رؤية الله في النوم، ورؤية الملائكة والأنبياء، والفضلاء من العلماء على نوعين: يُرون على صورة حسنة كاملة بتفاضل الكمال والحسن في بابه، ويُرون على صورة قبيحة ناقصة على مراتب القبح والنقص، وهذا الإدراك لهذه الصورة لأمرين: فالحسن منها لتعظيم الدين الحق وكماله، والقبح منها لإظهار الباطل والشرّ، وما لا يرضي الله، وذلك يرجع إلى موطنين: إما إلى حال الرائي في نفسه، وإما إلى الموضع الذي رأى فيه الرسول أو الحق أو الفاضل العالم، فإن الدين والحق في ذلك الموضع على وفق الصورة التي رأيتها في النوم من القبح والحسن،



كما أخبرني رجل من الصالحين بمجلس الإمام العالم الزاهد محمد بن العاص الباجي، قال: إن رجلاً من أصحابنا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فلطمه هذا الرائي في حرّ وجهه حتى أثّر كفه في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، فاستيقظ الرجل فازعاً، فقصّها على بعض شيوخنا، فقال له: إنك مع امرأتك في حرام، فطلب الرائي في نفسه، فإذا به قد حلف بطلاق امرأته، وحنث ولم يطلق وبقي معها، ومثل ذلك ما اتفق لرجل من الصالحين رأى فقهاء ذلك البلد الذي كان فيه قد اجتمعوا ودفنوا النبي صلى الله عليه وسلم وقد مات بينهم، فاستيقظ الرجل، فسأل فوجدهم في مسألة من الحج قد أبينت لهم الأحاديث الصحيحة التي لا مطعن فيها، فأبوا قبولها، وحكموا في المسألة بالرأي، وقالوا مذاهب قد استقرت، يريد هذا المنازع أن يردّها بهذه الأحاديث، وتعصبوا عليه، فنعوذ بالله من الخذلان.

ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ميتاً، وقد دفن في موضع من المسجد بإشبيلية، فسألت عن ذلك الموضع فإذا به مغصوب أخذ من صاحبه، ولم يعط حقه، فلمثل هذا ترجع أحوال من ذكرنا في الرؤيا، لا في ذواتهم، فأنا أحبُ أن لا أذكر مما رأيته في المنام إلاَّ ما يثبت حكماً، أو يفيد علماً، أو يحرض على طاعة.

فمن ذلك مبشّرة تحرض على التمسك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأنا بمكة، وكان إبراهيم بن همام الإشبيلي قد اعتنى بضبط الحديث، والعمل به وعليه، وقام هؤلاء الفقهاء الذين دفنوا النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا، فرأيت



النبي صلى الله عليه وسلم يقبِّل إبراهيم بن همام ويضمه إليه ضم مودة، ويعرِّفه أنه يحبه.

مبشِّرة أخرى في معناها: رأيتُ في النوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعانق الإمام المحدث علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي، صاحب المحلّى، وكان إماماً في الحديث عالماً به عاملا، وقد غشي النور ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذات ابن حزم، وقد انضما حتى وكأنهما بجسد واحد، فهذا من بركة الحديث.

مبشِّرة أخرى في معناها: كان جملة أصحابنا قبل أن أعرف العلم قد رغبوا وقصدوني يحرضونني على قراءة كتب الرأي، وأنا لا علم لي بذلك، ولا بالحديث، فرأيتُ نفسي في المنام وكأني في فضاء واسع وجماعة بأيديهم السلاح يريدون قتلي، ولا ملجأ معي آوي إليه، فرأيت أمامي ربوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف عليها، فلجأت إليه، فألقى ذراعه عليَّ وضمني ضماً عظيما، وقال لي: يا حبيبي استمسك بي لتسلم، فنظرت إلى هؤلاء الأعداء فلم أر على وجه الأرض أحدا، فمن ذلك الوقت اشتغلت بتقييد الحديث.

مبشِّرة أخرى في معناها: رأيت مالكاً رضي الله عنه أمام دار الهجرة في المنام وعليه ثوب أبيض يجر منه في الأرض اثنا عشر ذراعاً، وهو على باب يقال له باب الفتح، فقلت له: يا مالك ما أقرأ ؟ فقال: تحب أن تقرأ كتب الرأي، فكنت أرى شخصاً كان يشتغل بكتب الرأي وهو ينظر في مزبلة معرضاً عن مالك مقبلاً على المزبلة ـ فقلت: يا مالك أخاف أن تقودني كتب الرأي إلى ما قادت هذا الشخص، فتبسم مالك رضي الله عنه، وقال: صدقت عليك يا بني بتقييد الحديث، والعمل به.



ومن شرف علم الحديث ما حدثنا به العالم أحمد بن داود بن علي بن ثابت بن منصور الحريري الحلفاوي رحمه الله بمدينة تونس بدار الشيخ الصالح العارف عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي، قال أبو العباس أحمد بن داود كان لي اعتقاد كبير في الإمام أبي حنيفة لحسن رأيه، وجودة ذهنه، وكنت أميل إليه من دون الأئمة، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، فلم يكلمني، وهبتُ أن أسأله، وكان أبو بكر خلفه، فقلت: يا أبا بكر كيف مراتب الأئمة عندكم ؟ فقال: اللاحق بنا أحمد بن حنبل، ثم الشافعي، ثم مالك ثم أبو حنيفة، قال أبو العباس: فتعجبت وعلمت أن النجاة في متابعة الحديث، ولقد أخبرت بهذه الحكاية القاضي عبد الوهاب الأزدي الاسكندراني بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة، فقال: هو الصحيح، وأنا أخبرك بما يقوّي ما رآه أبو العباس، فقلت له: أخبرني ـ ونحن تجاه الركن اليماني عند باب الحزورة ـ فقال: كان عندنا رجل صالح فيه خير، وله سمت حسن، فمات فرآه بعض الصالحين من أصحابنا في المنام، فقال له الرائي: يا فلان كيف تكون الأرض إذا جاءك الملكان ؟ فقال: إنها تصير كالماء، كلما اخترقت فيها لم تمتنع عليك كما تخترق الماء[٨٣]، قال الرائي: سواء، فقلت له: ما رأيت ؟ قال: رأيت كتباً مرفوعة، وكتباً في الأرض موضوعة، فسألت عنها، فقيل لي: أما المرفوعة فكتب الحديث، وأما الموضوعة فكتب الرأي، حتى يسأل عنها أصحابها.

مبشرة في معرفة المسجد الحرام: رأيتُ وأنا بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة في النوم أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فسألته: أين حدّ المسجد الحرام الذي تكون الصلاة فيه بمائة ألف، هل هو الحرم كلّه ؟ أو



هل هو المسجد المعروف وحده ؟ فقال: لا أقول هو الحرم كلّه، ولا أقول هو المسجد وحده، ولكني أقول كل موضع في الحرم تقع الصلاة فيه فهو مسجد، وهو في الحرم فهو من المسجد الحرام، والصلاة فيه بمائة ألف، هكذا هو عندنا ، ثم استيقظت.

مبشرة تحرض على الأمر بالمعروف: رأيتُ وأنا بحرم مكة في المنام كأنَّ القيامة قد قامت، وكأني أقف بين يدي ربي مطرقاً خائفاً من عقابه إياي من أجل تفريطي، فكان يقول لي جل جلاله: يا عبدي لا تخف، فإني لا أطلب منك عملاً إلاّ أن تنصح عبادي، فانصح عبادي، وكنتُ أرشد الناس إلى الطريق القويم، فلمّا رأيتُ الداخل إلى طريق الله عزيزاً تكاسلتُ، وعزمت تلك الليلة أن اشتغل بنفسي وأترك الخلق، وما هم عليه، فرأيت هذه الرؤيا ، فأصبحت وقعدت للناس أبيّن لهم الطريق الواضح، والآفات القاطعة لكل صنف عنه من الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام، فكلهم قام عليَّ، وسعى في هلاكي، فنصر الله عليهم وعصم فضلاً منه ورحمة، قال عليه الصلاة والسلام: (الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[84] ذكره في صحيح مسلم.

مبشرة تحرض على الإيمان: أخبرني كمال الدين أبو عمرو وعثمان ابن أبي عمرو الأبهري الشافعي من أولاد البراء بن عازب بالمسجد الأقصى، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول: لكل نبي آل وعدة، وآلي وعدتي المؤمن، فما زال يكررها مراراً، وأخبرني أيضاً قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الأنبياء يأمرون أمتهم بأن لا يعبدوا الأصنام، وأنا أمرت أمتي بأن لا يعبدوا الأوثان.



مبشرة تحرض على حفظ القرآن: رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت، وقد ماج الناس، فسمعت قراءة القرآن في عليين. فقلت: من هؤلاء الذين يقرأون القرآن في هذا الوقت ولا خوف عليهم ؟ فقيل لي: هم حملة القرآن،فقلت: وأنا منهم، فأدلى لي السلم فرقيت إلى غرفة في عليين فيها الكبار والصغار يقرأون على رسول الله إبراهيم الخليل عليه السلام، فقعدت بين يديه، وافتتحت أقرأ القرآن آمناً لا أعرف خوفاً ولا هولاً ولا حساباً، ولا أدري ما هم الناس فيه من الكرب في الحشر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)[٨٥]، وقال تعالى: ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾[٨٦].

مبشرة ترغّب في قيام الليل: رأيتُ كأني بمكة، وكأني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار واحدة، وبيني وبينه وصلة عظيمة، حتى كأني هو، وكأنه أنا، وكنت أرى له ابناً صغيراً وكان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الرجل ليراه أخرج معه ذلك الصغير ليتبرك به الناس ويعرفوه، وكأن لذلك الصغير عند الله قدرا عظيما، فبينا نحن قعود وإذا بقارع يقرع الباب، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والصغير معه، ثم رجع إليّ وقال لي: إن الله أمرني أتأمشي إلى المدينة وأصلي المغرب بشرقيها، ثم خرج وأنا لا أفتقده، وعيني لا تزال عليه، وكأني ذاته، فلا أنا هو، ولا أنا غيره، فبينا هو بين مكة والمدينة إذ رأى خيراً عظيماً ينزل فقال: يا جبريل ما هذا الخير العظيم الذي لم أر مثله ؟ فقال: نزل من الفردوس الأعلى على المتهجدين، وأنّى يكون لك أن تكون منهم، ثم أخذ جبريل يثني على المتهجدين على الله تعالى بثناء ما سمعت مثله، وكان عليه الصلاة والسلام والله من أعلاهم وأفضلهم،



فعلمت أن ذلك في حقي، وقوله: أنّى يكون لك أن تكون منهم خطاب، يرجع إليّ واستيقظت.

مبشرة على الرغبة في دعاء الصالحين رضي الله عنهم: دخلتُ ـ بإشبيلية ـ على الشيخ الورع الصالح أبي عمران موسى بن عمران المارتلي، فأخبرته بأمر سُرَّ به واستبشر، فقال لي: بشرك [الله] [بالجنة] كما بشرتني، فلم تمض عليه أيام حتى رأيت بعض أصحابنا في المنام ممن كان قد مات، فقلت له: كيف حالك ؟ فذكر خبرا في كلام طويل، وقصة طويلة، ثم قال لي: وقد بشرني الله بأنك صاحبي في الجنة، فقلت له: هذا في المنام، فهات الدليل على قولك، فقال: نعم إذا كان في غدٍ عند صلاة الظهر يطلبك السلطان ليحبسك، فانظر لنفسك، فلمّا أصبح وما من أمر يوجب عندي ذلك، فلمّا صليت الظهر، وإذا بالطلب من السلطان، فقلت: صدقت الرؤيا، فاختفيت خمسة عشر يوماً حتى ارتفع ذلك الطلب، وهذا من بركة دعاء الصالحين.

مبشرة: رأيتُ في المنام كأنَّ الله يناديني ويقول لي: يا عبدي إن أردت أن تكون عندي مقرباً مكرماً منعماً فأكثر من قولي: ﴿ربِّ أرني أنظر إليك﴾[87]، كرّر ذلك عليّ مرات.

مبشرة تفيد علماً في القرء: رأيت في المنام النبي صلى عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله [٤و] قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾[88] ما أراد الله بالقرء هنا الحيض، أما الطهر فإنه من الأضداد، وقد اختلف العلماء فيه، وأنت أعرف بما أنزل إليك، فقال: عليه الصلاة والسلام: إذا قرغ قرؤها فافرغوا عليها الماء، وكلوا مما رزقكم الله، فوقع في نفسي أنه يريد الحيض، فقلت له: فإذا هو الحيض،



فأعاد عليّ: إذا فرغ قرؤها.. مثل الأول، فأعيد عليه، فيُعيد عليّ ثلاث مرات ويبتسم، وكنت أتحقق أنه يريد الحيض.

مبشرة: رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم بين اليقظة والنوم، وبيده ميزان الشمس، فرمى به وقال: بدعة ملعونة صلوا كما شرع لكم.

مبشرة تفيد علماً فيمن لفظ بالطلاق ثلاثاً هل ترجع إلى واحدة أو لا ؟

رأيتُ وأنا بمكة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين باب الجياد وبين باب الحزورة، ومحمد بن مالك الصدفي التلمساني يقرأ عليه كتاب البخاري، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجل يقول لامرأته أنت طالق ثلاثاً، ولم يكن طلقها هل هي ثلاث كما قال أو ترجع إلى واحدة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: هي ثلاث كما قال، قلت فقد حكم بعض العلماء بأنه: ترجع إلى واحدة، فقال: هؤلاء حكموا بما وصل إليهم وأصابوا، فقلت له: يا رسول الله ما أريد في هذه المسألة إلاّ ما تدين به، فقال عليه الصلاة والسلام: هي ثلاث كما قال لا تحل له إلاّ أن تُنكح زوجاً غيره، وكان في ذلك المجلس من يردّ عليه قوله، وكان إبليس، فكأني أنظر يردُ عليه قوله، وكان إبليس، فكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأن حبّ الرمان قد فقيء في وجنتيه وقد غضب وصاح صياحاً عظيماً على الرادّ عليه بقوله عليه الصلاة والسلام في صياحه: تستحلون الفروج، يكرر ذلك مراراً: هي ثلاث كما قال، ثم قرأ القارئ كتب صحيح البخاري، فلمّا أكمل المجلس أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه واستقبل الركن اليماني وقال: اللهم اسمعنا خيراً، وأطلعنا خيراً، ورزَقنا الله العافية وأدامها لنا، وجمع الله قلوبنا على التقوى،ووفقنا لما يحبه ويرضاه.



مبشرة: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول: إنكم تفتنون في قبوركم مثل فتنة الدجال، ثم استقبل القبلة وحسر عن ذراعيه، وفرش سجادة وصلى ركعتين، وقمتُ عن يمينه، وأدركت الركعة الثانية.

مبشرة في الركعتين عقيب الطواف: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، وأنا بمكة سنة أربع وستمائة، وهو يقول: يا مالك هذا، ويا ساكن هذا البيت مر من يطوف به أن يصلي عقيب طوافه ركعتين في أي وقت كان، فإن الله يخلق من صلاته ملكاً يعظم الله ويسبحه.

مبشرة تفيد علماً بالشجرة التي لا شرقية ولا غربية المذكورة في النور: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلتُ قوله تعالى: ﴿من شجرة مباركة زيتونة﴾[٨٩] إلى آخر الآية، ما هذه الشجرة ؟ فقال: كنى عن نفسه سبحانه، لذلك نفى عنها الجهات، فإنه لا يتقيد بالجهات، والغرب والشرق كناية عن الفرع والأصل، فهو الله خالق المواد وأصلها، ولو لا هو ما كانت مادة في كلام طويل، وتفصيل واضح، وكان قبل أن يقول لي هذا الكلام يقول لي: أنت تعرف ما هي الشجرة، وما كان لي علم بها، فلمّا قال: أنت تعرفها، فكنت أقول له نعم أعرفها، وأحبّ أن أسمعها من فيك صلى الله عليك، وكان يقول ما ذكرته، واستيقظت، فهذا بعض ما رأيته مما جرى على ذكري في هذه الساعة قد ذكرته لسائل الوقت، الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خيرته من خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين.

